موقف روسيا من التطورات السياسية في جبل لبنان ١٨٤٠ـ١٨٦١م

م.د. محمود صالح سعيد
قسم التأريخ
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/١٢/٢٣ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٣/٤/٤

ملخص البحث:

يسلط هذا البحث الضوء على الموقف الروسي من تطورات المسألة اللبنانية، خلال المدة من ١٨٤٠ – ١٨٦١ . فقد شكّل هذا الدور واحداً من أهم الأدوار الأساسية في المنطقة، سياسياً واقتصادياً، وثقافياً، وكان جبل لبنان واحداً من أبرز الأقاليم العثمانية التي تعرضت لمثل هذا الدور.

تكمن خطورة الموقف الروسي من التطورات السياسية في جبل لبنان في أنه أضمر دوافع خطيرة إذ كانت تهدف إلى تمزيق الدولة العثمانية ، والعمل على قسمتها مع بقية الدول الأوربية. حاولت روسيا تحقيق سياستها تلك عبر الدعوة إلى تشكيل كيان إداري طائفي في جبل لبنان يكون خاضعاً لحمايتها . وتمثل ذلك عبر دعوتها إلى تشكيل قائممقامية ثالثة في الجبل للروم الأرثوذكس.

لقد كان لروسيا دورٌ مهمٌ في المناورات السياسية القائمة بين هذه الدول، حول ما عرف بالمسألة الشرقية.

Russia stand towards the political developments in Lebanon Mount

1840 – 1861

Lec.Dr. Mahmood Saleh Sa'eed
Department of History
College of Arts / Mosul University

Abstract:

This research tries to shed the light on the role of Russia towards Lebanon issue developments during (1840 – 1861) . This role was considered one of the most important roles in area, politically, economically, and culturelly. Lebanon Mount was one of the most important of Ottoman regions that to be exposed to such role. Russian role in Lebanon Mount was

considered one of the most dangerous of European roles in this side. This danger was hidden in Russian motives towards Ottoman state in that Russia tries to tearing the lands of the Ottoman state in corporation with some of the great European states. To achieve its policy, Russia tries to claim the foundation of an administrative sectarian entity that is submssive to Russian policy and under the protection of Russian . Russia demanded to form a third administrative district in Lebanon Mount for Roman Arthodox sect. In fact, Russia played a dangerous role in political maneuvers among great European states about what was Known as the " Eastern Qustion.

تمهيد :

شهد الوطن العربي في العهد العثماني خلال المدة (١٥١٦ – ١٩١٨) تدخلاً سافراً من الدول الأوربية الكبرى في شؤونه الداخلية . وشكّل ذلك التدخل واحداً من أهم المعالم الأساسية لتأريخ المنطقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً . وكان جبل لبنان واحداً من أبرز الأقاليم التابعة للدولة العثمانية التي تعرضت لمثل هذا التدخل .

يعد الموقف الروسي من أحداث جبل لبنان خلال المدة (١٨٤٠ – ١٨٦١) واحداً من أبرز الأدوار السياسية الأوربية الخطيرة ؛ ذلك أن روسيا تعد من أكثر الدول الأوربية الكبرى طموحاً في تحقيق سياستها الرامية إلى تمزيق وحدة الدولة العثمانية وتشظية أجزائها . لذلك كان لروسيا دورٌ مهمٌ في المناورات السياسية القائمة بين هذه الدول ، حول ما عرف بالمسألة الشرقية (١). لذلك يصح كثيراً ما ذهب إليه أحد الباحثين البارزين في الشؤون الدولية عندما وصف المسألة الشرقية بأنها : " عبارة عن المناورات التي أخذت الدول الأوربية المختلفة تلعبها ، لتمنع روسيا من التجاوز أكثر مما يجب على وحدة الإمبراطورية العثمانية وتماسك أجزاؤها " (٢) .

وفي هذا إشارة واضحة وجلية حول خطورة الموقف الروسي في المنطقة ، ومكامن الضعف الذي باتت عليه الدولة العثمانية في مواجهتها لهذا الموقف .

وقد شكّلت الأزمة السورية التي وقعت بين الحكومة العثمانية والوالي محمد علي باشا (١٨٠٤ – ١٨٤٨) في ثلاثينيات القرن التاسع عشر البداية الحقيقية للتدخلات الأوربية القوية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية . فقد كان جبل لبنان واحداً من أبرز الأقاليم العثمانية التي تأثرت بهذا التدخل . إذ شاركت الدبلوماسية الأوربية خلال هذه المدة ، وبشكل فاعل ومؤثر في مسألة تنظيمه السياسي . ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذا الدور لا بد من تسليط الضوء على طبيعة العلاقات السياسية العثمانية – الروسية قبل هذه الحقبة .

المبحث الأول : تطور العلاقات العثمانية – الروسية حتى الأزمة السورية

ترجع العلاقات بين روسيا والبلاد العربية إلى القرن السادس والسابع الميلاديين ، عندما كانت الفصائل العسكرية الروسية تقاتل في صفوف الجيش البيزنطي في بلاد الشام ضد القوات العربية الإسلامية . ومثّل اعتناق الروس للمسيحية الأرثوذكسية سنة (٩٨٨) نقطة تحول كبيرة في تقوية صلات الروس بالشرق . إذ كان الروس يسلكون طريقاً طويلاً وشاقاً للوصول إلى الأراضي المقدسة في فلسطين (٣).

تشكلت الدولة الروسية بوصفها قوة إقليمية في أوربا الشرقية بزعامة موسكو في بداية القرن السادس عشر في عهد الملك إيفان الرابع الملقب بـ (الرهيب) (٤) (١٥٣٠ – ١٥٨٤). وبعد أن دخلت استانبول (القسطنطينية) في حوزة الدولة العثمانية عام (١٤٥٣) ، طلب إيفان الرابع من رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية ماكاريوس أن يتخذ من موسكو عاصمة للمذهب الأرثوذكسي في العالم ، لتصبح موسكو بمثابة روما الثالثة (٥)، وأن يكون الرئيس السياسي والديني لهذا المذهب (٦).

وفي عهد هذا الحاكم حدث أول تصادم مهم مع الدولة العثمانية في عام (١٥٧٥م) ، حول السيطرة على منطقة أستراخان ، ولكن التصادم لم يسبب أي تطور في العلاقات ، إذ لم يكن الطرفان ميالين إلى تفاقم هذا الأمر (٧).

وبحلول القرن السابع عشر ، أخذت سياسة روسيا بالتبلور ، مع اعتلاء أسرة آل رومانوف (١٦١٣ – ١٩١٧) (٨) العرش . وتمثلت هذه السياسة نحو دعم الحركة السلافية في مناطق أوربا الشرقية (٩)، التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية والامبراطورية الرومانية المقدسة . وكانت روسيا تهدف من وراء ذلك توحيد جميع الشعوب البلقان (السلافية) تحت الحكم الروسي (١٠). فمثلت الدولة العثمانية بالنسبة لروسيا العدوّة التقليدية لها (١١) . وتندرج ضمن هذا التوجه حملة بطرس الأول (١٦٧٢ – ١٧٢٥)(١٢) على حصن آزوف في عام ١٦٩٥ ، والتي أدت إلى قطع العلاقات بينهما (١٣) . بيد أن العلاقات بين الدولتين سرعان ما عادت إلى وضعها السابق، وتأسست على إثرها أول سفارة روسية في استانبول ، عين بطرس الأكبر خلالها بيتر أندرييفيج تولستوي (١٤) بصفته أول سفير روسي في الدولة العثمانية (١٥).

من جهة ثانية أسس بطرس الأكبر مدرسة خاصة باللغات الشرقية، ليزيد من التعرف على الأوضاع العامة للمنطقة (١٦).

لقد بات واضحاً غرض روسيا من خوض الحروب ضد الدولة العثمانية . فقد كانت تدفعها رغبتها الوصول إلى مياه البحر الأسود وبحر البلطيق ، والتوسع غرباً من أبرز الدوافع لهذه الحروب . وطبقاً لرأي أحد الباحثين : " فإن إحدى المهمات الأساسية في السياسة الخارجية لروسيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت تنحصر في الكفاح من أجل الوصول إلى الأراضي

الجنوبية والوصول إلى بحر آزوف والبحر الأسود .. " [١٧]. وهكذا بدأت روسيا بتأسيس أول أسطول بحري في البحر الأسود في عهد بطرس الأول [١٨].

أخذت الفكرة السلافية بالاختمار عند تولي الإمبراطورة كاترين الثانية (١٧٦٢ – ١٧٩٦) [١٩] الحكم ، وبدأت فكرة توسيع الإمبراطورية الروسية باتجاه الأقاليم الجنوبية والشرقية تمثل الهاجس الأساس في طموحات روسيا الخارجية ، وكانت هذه المناطق تقع ضمن حدود الدولة العثمانية . أخذت روسيا منذ هذه الحقبة تعمل على التوسع شرقاً ودعم حركات الانفصال السلافية في البلقان لتمثل جوهر سياستها الخارجية في المنطقة [٢٠].

أدت هذه السياسة إلى قيام الحروب المتكررة بين الدولتين الروسية والعثمانية . فقد أعلنت كاترين الثانية الحرب عام (١٧٦٦) . وحققت انتصاراً كبيراً ، أجبرت الدولة العثمانية على التوقيع على معاهدة كوجك كينارجي في عام (١٧٧٤) [٢١]، التي غدت حجر الزاوية في العلاقات بين البلدين [٢٢].

وطبقاً لهذه المعاهدة حلّ النفوذ الروسي محل النفوذ الفرنسي في استانبول [٢٣] ، وراحت روسيا بعد هذه المعاهدة تمارس ضغطاً لا هوادة فيه على الدولة العثمانية ، لتحقيق أهدافها، مستخدمة سياسة الوحدة السلافية والأرثوذكسية فضلاً عن العدوان العسكري وسائل للضغط على الدولة العثمانية . ففي عام (١٧٩٢) أجبرت الدولة العثمانية على التنازل عن القرم إلى روسيا بموجب معاهدة " ياسي " بعد حرب استمرت خمسة أعوام (١٧٨٧-١٧٩١) . وأخذت روسيا بإنشاء قواعد بحرية عسكرية وتحصينات هناك ، مما أتاح لأسطولها السيادة على مياه البحر الأسود، وأمّنت حدودها الجنوبية وعزّزت من تجارتها في البحر الأسود [٢٤].

حصلت روسيا القيصرية بعد ذلك على حقوق تتيح لها تسمية وتعيين قناصل لها في عدد من المدن العثمانية الرئيسة . ومنذ ذلك الحين أصبحت التقارير القنصلية الروسية من أبرز مصادر المعلومات التي تعين روسيا في التعرف على الأوضاع العامة للدولة العثمانية . فتم تعيين أول قنصل لها في صيدا عام (١٧٨٢) ، وفي بيروت عام (١٧٨٥) [٢٥].

وحين سطع نجم نابليون بونابرت (١٨٠٤ – ١٨١٥) على القارة الأوربية ، وقيادته للحملة العسكرية على مصر في عام (١٧٩٨) كان هناك نشاط مشترك بين الأسطولين الروسي والعثماني خلال المدة عام (١٧٩٨ – ١٨٠٠) . وكان هذا النشاط موجهاً ضد فرنسا النابليونية، فقد خشيت روسيا القيصرية من تعاظم قوة نابوليون الثورية في أوربا في وقت كانت روسيا تدعم الاتجاهات المحافظة والرجعية . فخشيت أن تهدد فرنسا مصالح روسيا في أوربا والدولة العثمانية، من أجل ذلك سعت روسيا إلى التعاون مع الدولة العثمانية بغية إضعاف فرنسا في الدولة العثمانية. فقد تم التوقيع على معاهدة تحالف القسطنطينية في (٢٣ كانون الأول / ديسمبر ١٧٩٨) وكانت هذه المعاهدة موجهة ضد فرنسا تحديداً، وجعلت في هذه المعاهدة القيادة مشتركة لوكيل الأميرال

ف. ف . أوشاكوف ، وقبلت الدولة العثمانية المساعدة التي اقترحتها روسيا [٢٦] لأنها ستعزز من القوة العثمانية في البحار الإقليمية لاسيما البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود . لكن هزيمة روسيا على يد نابليون في فريدلاند والتوقيع على معاهدة تلست ١٨٠٧ [٢٧] أحبطت المساعي الروسية وأدت إلى تقارب روسي – فرنسي ، وتباعد روسي – عثماني.

أخذت فرنسا النابليونية بالسعي إلى التوسط بين روسيا والدولة العثمانية لإنهاء حالة الحرب التي شنها القيصر الاسكندر الأول (١٨٠١ – ١٨٢٥) ضد الدولة العثمانية خلال المدة (١٨٠٧–١٨١٢) وانتهت الحرب بالتوقيع على معاهدة بخارست في (مايس / أيار ١٨١٢) . مثّلت هذه المعاهدة خطوة إضافية في توسع روسيا الإقليمي على حساب الدولة العثمانية . فقد ضمت إليها مقاطعة بسارابيا [٢٨]. وأضافت هذه الحرب وقوداً إلى الشرارات القومية في جميع أنحاء البلقان [٢٩]. وأخذت روسيا تدعم بقوة انفصال نصارى البلقان عن الدولة العثمانية . فكان الدعم الروسي واضحاً بالنسبة للحرب اليونانية (١٨٢١–١٨٢٨) من أبرز الأمثلة على ذلك . فقد أسفرت هذه الحرب عن اندلاع الصراعات مجدداً عام (١٨٢٨) . وانتهت الحرب بالتوقيع على " معاهدة أدرنة " . وبموجبها أيدت الدولة العثمانية الحماية الروسية على ولايات الدانوب [٣٠] . وضمت روسيا أراضي جديدة على الساحل الشرقي للبحر الأسود [٣١].

وصل نجاح روسيا أوجه في عام (١٨٣٣) بعقدها معاهدة " أونكيار أسكله سي ". أصبحت الدولة العثمانية بموجبها تعتمد كلياً على روسيا . وحصلت روسيا على مركز ممتاز بالنسبة للمضائق [٣٢]. وأصبحت الدولة العثمانية أشبه بدولة تحت الحماية الروسية . وكان من نتائجها سعي الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا إلى تقليص نفوذ روسيا في الدولة العثمانية ، إذ عقدت بريطانيا مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ أجريت بموجبه تعديلات وترتيبات جديدة أكثر ملاءمة للدول الأوربية الكبرى ، تحولت بموجبها حماية الدولة العثمانية من أيدي روسيا إلى أيدي الدول الأوربية الكبرى (بريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا) ، وأصبحت هذه الحماية مفروضة على الدولة العثمانية والأخيرة ملزمة باتباع نصائح الدول الأوربية الكبرى وتوجيهاتها بما فيها روسيا [٣٣].

المبحث الثاني : موقف روسيا من الأزمة السورية وتطورات الأحداث في جبل لبنان ١٨٤٠ـ١٨٤٥م

كانت الأزمة السورية في أصلها محاولات الوالي العثماني محمد علي باشا توسيع ولايته لتشمل بلاد الشام إلى جانب مصر ، بعد أن أخفق في الحصول على مناطق كثمن لمشاركته في الحرب اليونانية . وقد دامت هذه الأزمة من عام ١٨٣١–١٨٤٠ ، استولى خلالها الوالي على جميع بلاد الشام ودخل في عمق الأناضول [٣٤] .

ولّدت هذه الأزمة ردود أفعال أوربية خطيرة ، ودخلت هذه الدول كطرف في الصراع : فرنسا تؤيد الوالي محمد علي باشا وبقية الدول الأوربية تقف ضده ، وتهدف إلى تحقيق مصالحها

وتمكين نفوذها . ومن هذه الدول روسيا التي نجحت في الحصول على مكاسب كبيرة في الدولة العثمانية بموجب معاهدة أونكيار سكلة سي عام (١٨٣٣) ، والتي جعلت بقية الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا تسارع إلى التدخل لوقف النفوذ الروسي والفرنسي .

وقد نجحت بريطانيا في عقد معاهدة لندن عام (١٨٤٠) . وكانت بريطانيا تأمل من هذه المعاهدة أن تحافظ على وحدة أراضي الدولة العثمانية ، والعمل على تقويتها من خلال تشجيعها تبني إصلاحات على النمط الأوربي ، تؤدي إلى تقويتها ، لتتمكن من مجابهة أطماع الدول الأوربية، وعلى رأسها روسيا . بينما أرادت روسيا من هذه المعاهدة التعاون مع بريطانيا لتقسيم الدولة العثمانية في النهاية . وصل الأمر بالقيصر الروسي آنذاك نقولا الأول (١٨٢٥– ١٨٥٥) أن يصرح خلال حديثه مع عدد من الدبلوماسيين البريطانيين بوجوب تبني اقتراح يدعم تقسيم أملاك الدولة العثمانية ، التي اسماها (الرجل المريض) ، بصورة منتظمة قبل موته المنتظر [٣٥]. وقد حاولت روسيا الاتصال بمحمد علي ، من خلال احد موظفيها العاملين في السفارة الروسية باستانبول ، المدعو ب . أ . جنياجيف ، الذي التقى بمحمد علي وتحدث معه بدون الاستعانة بمترجم [٣٦].

لم تشارك روسيا في الحملة العسكرية الأوربية الموجهة ضد قوات محمد علي باشا في بلاد الشام على وفق اتفاقية لندن في (١٥ تموز / يوليو ١٨٤٠) . ولعل مرد ذلك رغبة بريطانيا والدولة العثمانية استبعاد تدخل روسيا في بلاد الشام . وقد نجحت الحملة العسكرية العثمانية – الأوربية، وأجبر الحلفاء القوات المصرية على الانسحاب من بلاد الشام في (تشرين الثاني / نوفمبر ١٨٤٠) . وكانت أبرز نتائج هذا التدخل انتصار الدبلوماسية البريطانية ، وإلغاء اتفاقية عام (١٨٣٣) بين الدولة العثمانية وروسيا لتحل محلها اتفاقية عام (١٨٤١) وبموجبها وافقت الدولة العثمانية على إغلاق مضائقها أمام السفن الحربية لجميع الدول بما ذلك مضائقها في البحر الأسود [٣٧].

سجّل عام (١٨٤٠) بدء مرحلة جديدة في تأريخ جبل لبنان استمرت حتى عام (١٨٦١)، شهدت البلاد خلالها تطورات سياسية مهمة ، وتبدلات جذرية في نظام الحكم ، وكان للتدخل الأوربي في شؤونه ابرز معلم من معالم هذه الحقبة . وقد أثّر ذلك على مستقبل نظام الحكم فيه. فقد عكست اتفاقية لندن عام (١٨٤٠) نشاطاً أوربياً قوياً ، سمح بالتدخل المباشر في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، ودفعت محاولات فرنسا بسط حمايتها على الموارنة ومحاولات بريطانيا بسط حمايتها على الدروز والنمسا على الروم الكاثوليك ، دفعت هذه المحاولات روسيا أن تقرر بسط حمايتها على الروم الارثوذكس في جبل لبنان ، نظراً للتوافق المذهبي وكون الأرثوذكس الطائفة الوحيدة التي لم تخضع لمحاولات الدول الأوربية بسط حمايتهم عليها ، فتسنى لروسيا أن تملأ الفراغ بمحاولة بسط حمايتها عليهم .

وبقدر تعلق الأمر بالموقف الروسي ، فيبدو أنه جاء منسجماً مع سياستها العامة تجاه الدولة العثمانية ، وذلك من خلال موقفها المؤيد للأقليات المرتبطة بها مذهبياً . فضلاً عن دخولها ميدان التنافس الأوربي لتعزز مكانتها في المنطقة ، ولتجعل كل ذلك في خدمة سياستها الرامية إلى تمزيق الدولة العثمانية وفصل أجزائها عنها.

بلغ التدخل الأوربي في شؤون جبل لبنان عموماً حداً من التعسف لا يطاق أوضحه قنصل فرنسا في بيروت المسيو بروسبير بوريه Prosper Bourée في رسالة إلى السفير الفرنسي في استانبول غيزو جاء فيها : " عندما تحدث أزمة معينة في لبنان ، كانت القنصلية الفرنسية هي النقطة التي تتجه إليها أنظار العرب الكاثوليك فمن هناك كانت تطلب النصائح .. وما كان يحدث في القنصلية الفرنسية بالنسبة للموارنة ، كان يحدث بطريقة مشابهة في القنصلية الروسية بالنسبة للروم " [٣٨]. فالقنصل الروسي في بيروت قسطنطين بازيلي (١٨٣٩–١٨٥٣) ، أخذ يوطّد علاقاته في صفوف الروم الأرثوذكس ، باسم القيصر والكنيسة الروسية ، وبحسب أحد المؤرخين فإن النفوذ الروسي أصبح له قاعدتان في الدولة العثمانية : أرثوذكس البلقان ، وأرثوذكس سوريا ولبنان [٣٩]. ولم يفت هذا السباق المستشار النمساوي " مترنيخ " [٤٠] Metternich (١٨٠٩ – ١٨٤٨)، فأوفد فون دي فكبكير ، قنصلاً عاماً إلى بيروت وأوصاه ببسط الحماية على الموارنة والكاثوليك لتنافس الحماية الفرنسية عليهم بعد أن اهتز النفوذ الفرنسي في المنطقة اثر هزيمة حليفها محمد علي باشا من بلاد الشام [٤١].

من الواضح أن هذه السياسة أضرّت بالمجتمع اللبناني، لا سيما في قضية ولائه للوطن، فقد انعدمت نتيجة ذلك فكرة الولاء للوطن ، وانغمس زعماؤهم وعامتهم أيضاً في خضم التنافس الطائفي المدعوم من القنصليات الأوربية [٤٢] .

جاء تعيين الأمير بشير قاسم ملحم الملقب ببشير الثالث (١٨٤٠–١٨٤٢) ، بدعم واضح من بريطانيا ، مكافأة له على وقوفه ضد محمد علي باشا ، وصدر فرمان تعيينه في (٣ أيلول/ سبتمبر ١٨٤٠) ، ليوافق سياسة روسيا الرامية إلى أضعاف النفوذ الفرنسي في جبل لبنان، غير أن تدابير الأمير بشير الثالث وسوء إدارته جعلت روسيا تتخلى عن دعمها له والتحول عن دعمه إلى حث الروم الأرثوذكس على الوقوف إلى جانب الدروز خصوصاً في أحداث (١٤ أيلول/ سبتمبر ١٨٤١) [٤٣] والمطالبة بعزله . انتهزت الدولة العثمانية فرصة الأحداث بين الدروز والموارنة فأعلنت في (١٣ كانون الثاني / يناير ١٨٤٢) سقوط الإمارة الشهابية وتنصيب حاكم عثماني مسلم على الجبل [٤٤]. وقد جاء تعيين عمر باشا النمساوي ضد رغبة جميع الدول الأوربية بما فيهم روسيا ، فعارضت روسيا هذا التعيين ، وحثت الحكومة العثمانية على ضرورة إلغائه، مما اضطر الصدر الأعظم العثماني بتقديم وعد إلى سفراء الدول الأوربية الكبرى بتعيين حاكم محلي على الجبل [٤٥]. كان ممثلوا الدول الأوربية وعلى رأسها روسيا وبريطانيا وفرنسا يتشاورون مع

المسؤولين العثمانيين ويتفاوضون طيلة مدة حكم عمر باشا النمساوي حول إلغاء الحكم المباشر، حتى اضطرت الدولة العثمانية إلى النزول عند رغبتهم وقامت في (١٣ كانون الثاني / يناير ١٨٤٢) باستدعاء الوالي عمر باشا ، وإلغاء الحكم المباشر [٤٦].

كان النظام الإداري الجديد المطبق بدلاً من الحكم العثماني المباشر هو نظام القائممقاميتين، الذي ولد نتيجة اقتراح المستشار النمساوي مترنيخ بعدما طال الحوار بين ممثلي الدول الأوربية الخمس (وهم : بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا) مع الدولة العثمانية . ويقضي هذا المقترح بتقسيم جبل لبنان إلى قائممقاميتين : نصرانية يرأسها أمير نصراني ، ودرزية يرأسها أمير درزي ، ويشرف عليهما والي صيدا [٤٧]. وقد أيد المندوب الروسي هذا القرار ، وكانت رغبة منه في إضعاف قبضة الدولة العثمانية على الجبل [٤٨].

وهكذا تلقى القنصل الروسي في بيروت قرار الحكومة العثمانية ، ومعلومات مماثلة من السفير الروسي في استانبول تشير بوضوح إلى دور الدول الأوربية في حمل السلطان على النزول عند رغبتهم في تقسيم الجبل إدارياً ، وموافقة بطرسبرج على هذا الحل [٤٩].

لقد بدا واضحاً أن القوى الأوربية الكبرى الخمس اتفقت في موقفها الرافض للحكم العثماني المباشر ومجمعة عليه ، وكانت كل دولة من هذه الدول تخفي وراء موقفها طموحاتها السياسية في المنطقة ؛ لذلك لم يستمر الحكم العثماني المباشر في جبل لبنان طويلاً فسرعان ما تم استبداله بنظام يقسم الإدارة فيه على أساس طائفي .

وهكذا بعث السفير الروسي ، المقرّب من الباب العالي ، " بوتينيف " رسالة مستعجلة إلى قنصله العام في بيروت " بازيلي " في (١٩ كانون الأول / ديسمبر ١٨٤٢م) يعبر فيها عن موقفه المتفائل من هذا المشروع ، ومدى ارتباطه بالمصالح الروسية ، إذ جاء فيه : " سيعود إليك نتيجة ذلك، أن تولي بالاتفاق مع زملائك [الأوربيين] كل العناية التي باستطاعتك لتقنعهم بالقبول في نطاق اتصالاتك المحلية ، بالأهمية القصوى وشمولية القرارات المفيدة والمصيرية التي تبنتها حكومة جلالته ، وهذه القرارات تحظى بالدعم الاجتماعي من القوى الكبرى واصدقائها وحلفائها ... ولا تدّخر جهداً لإثارة الأذهان ولإخماد كل النزاعات الداخلية حتى ترسخوا عند سكان الجبل، دروزاً وموارنة ، وعند جميع سكان سوريا بشكل عام ، الشعور بالامتنان والطاعة التي يجب أن توحيها إليهم هذه الأدلة الصارخة والاستعدادات الأبوية من قيصر روسيا تجاههم ، والتي يجب على هذه (الشعوب) أن تكون جديرة بها بإخلاصها واندفاعها وأمانتها لإسكات كل النفوس المريضة والمنحازة كي يعيشوا من الآن فصاعداً بسلام ، متمتعين بمصير مضمون وبإدارة هي الأكثر ملائمة لرفاهيتهم وقيمهم " [٥٠]. كان هذا الخطاب يمثل وجهة النظر الروسية تجاه تطبيق نظام القائممقاميتن ، والذي هو في الواقع كرس الانقسام الطائفي بين سكان الجبل كما ستثبته الأحداث اللاحقة .

من جهة ثانية ما أن تم تطبيق النظام حتى بدأت المشاكل والاعتراضات عليه، وكان موقف روسيا واضحاً في هذا المجال . فقضية اختيار القائممقام حيدر أبي اللمع بالاتفاق بين والي صيدا أسعد باشا والقنصل الفرنسي بوريه كرس الانقسام الأوربي ، إذ رفض الروم الأرثوذكس هذا التعيين وأعلنوا عدم خضوعهم للأمير حيدر ، يؤيدهم في ذلك قنصل روسيا بازيلي . فقد سعى بازيلي لدى الحكومة العثمانية وبتأييد من حكومته إقامة قائممقامية ثالثة للروم الأرثوذكس، يكون مركزها الكورة شمالي جبل لبنان ، لكن هذا المقترح تم رفضه من جانب الحكومة العثمانية ، ولكن ضغوط روسيا في هذا الجانب أفلحت في نزول الوالي العثماني عند رغبة بازيلي في حماية الأرثوذكس ، وربما لشق صفوف الأوربيين ، وكمكافئة لهم على وقوفهم ضد الموارنة في أحداث عام ١٨٤١م ، استعاد الوالي أسعد باشا (البيورلدي) – الأمر الإداري – المتعلق بتعيين الأمير حيدر قائممقاماً على النصارى ، وإصدار مرسوم آخر يقضي بتعيينه على الموارنة حصراً ، وسلخ منطقتي الكورة وجبيل وأهدن وبشرّي عن دائرة صلاحيته وجعلها مرتبطة بوالي صيدا أو بوالي طرابلس ، وعهد بها لأحد القادة العسكريين ، مما أثار غضب الموارنة والقنصل الفرنسي في هذا المجال . ولم تهدأ لهم بال حتى أجبروا الوالي على سحب هذا القرار [٥١].

أما ما يتعلق باختيار قائممقام الدروز ، فقد حذّر القنصل الروسي والي صيدا من مغبة اختيار شخصية من الدرجة الثانية ، لا تنتمي إلى أحد الأسر الدرزية الكبرى (والأسر هي : آل عبد الملك وآل العماد وآل أرسلان وآل جنبلاط وآل نكد وآل تلحوق) ، ونصح الوالي أن يترك للدروز مهمة اختيار القائممقام المطلوب فيتحملوا بذلك وحدهم مسؤولية الخضوع له والتقيد بأحكامه، وقد عمل الوالي بنصيحة القنصل الروسي، الذي أيده بقية القناصل ، ووقع اختيارهم على الأمير أحمد أرسلان [٥٢].

حاولت القائممقامية النصرانية وبدعم واضح من القنصلية الفرنسية توحيد الحكم في جبل لبنان تحت حكم الشهابيين ، لكن روسيا اعترضت على ذلك ودعمت موقف الحكومة العثمانية الرافض توحيد إدارة الجبل تحت الحكم الشهابي ، وقد كتب القنصل الروسي بازيلي مهولاً خطورة المشروع النصراني – الماروني على الجبل وقال في هذا الصدد : " إن التنظيم الحالي للبلاد، المعتمد على مبدأ المجتمع الإقطاعي ، سينهار تماماً فيما لو شملت سلطة الزعيم الماروني كل مسيحي لبنان " [٥٣]. فشكل هذا تحذيراً من أن أي محاولة مارونية لزعامة الجبل قد يضر بالمصالح الروسية في المنطقة .

من جهة ثانية تفاقم الخلاف الروسي – البريطاني نتيجة تأييد بريطانيا لحركة التنصير الإنجيلي في الجبل وانتشارها في أوساط الروم الأرثوذكس ، لا سيما في مناطق حاصبيا وراشيا[٥٤]. وكانت حركة التنصير الإنجيلي قد سجلت نجاحاً كبيراً في أوساط الروم الأرثوذكس، الذين اخذوا يعتنقون المذهب الإنجيلي البروتستانتي بشكل واسع . منهم من فعل ذلك عن عقيدة

وإيمان وآخرون بفعل الرشوة ، وقد وصف بازيلي نشاط هذه الحركة بقوله : " أنهم كانوا يُخرِجُون الناس عن دينهم وتقاليدهم لا بوسائل الإقناع ، بل بالغش والرشوة واستغلال الضـــعيف والجهــل، فكانوا يدفعون يومياً لمن يتمذهب بمذهبهم سبعة قروش للرجل والمــرأة وخمســة قــروش للولــد القاصر "[٥٥].

أثار هذا النشاط حفيظة القنصل الروسي [٥٦] ، وقدم شكوى بهذا الخصــوص إلـــى الــوالي العثماني والمبعوث العثماني إلى الجبل الأميرال خليل باشا صهر السلطان ، محــذراً مــن النتــائج الوخيمة التي ستنجم من جراء استمرار نشاط هؤلاء المنصّرين ، محذراً المسؤولين العثمانيين بأنه إذا نجحت اليوم لدى الروم الأرثوذكس والدروز فستصل في المستقبل القريب إلى أوساط المسلمين أنفسهم. ولم يكتف الموقف الروسي بهذا الخصوص فقام بتحريض أهــالي حاصــبيا علــى تقــديم عرائض وشكاوي ضد نشاط الإرساليات الإنجيلية في مناطقهم ، ورُفعت الشكاوى إلى الكولونيــل روز قنصل بريطانيا في صيدا ، ووصلت نسخة منه إلى القنصل الفرنسي ، الذي تلقفهــا بارتيــاح بالغ، وتباحث بشأنها مع الوالي والمبعوث العثماني ، وقال لها : " إن النشاط التنصيري البرتستانتي لا يقف عند حد ، فقد بدأ بالدروز ، ثم امتد إلى الأرثوذكس وسيدق قريباً أبواب المسلمين " [٥٧].

هلع الوالي العثماني وخليل باشا لهذا الأمر ، وخشيا غضب السلطان إذا بلغه امتداد التنصير الإنجيلي إلى أوساط المسلمين ، فكان موقف الوالي صارماً تجاه هذا النشاط ، مما اغضب القنصل البريطاني ، واخذ عليه موقفه هذا ، واتهمه بمجاراة الفرنسيين والروس ، وشكا القنصل البريطاني الوالي إلى استانبول . وتحت الضغط البريطاني نزل السلطان عند رغبة السفير البريطــاني هنــاك ستراتفورد كاننج وتم استدعاء الوالي اسعد باشا من بيروت في (آذار / مــارس عــام ١٨٤٥)، وعين مكانه السر عسكر محمد وجيهي باشا ، الذي واجه فوضى الأوضاع في جبل لبنان بســلبية دفعت القناصل الأوربيين إلى اتهام الوالي الجديد بالسلبية وفقدان هيبــة الحكــم ، عندئــذ قــررت الحكومة العثمانية إرسال وزير خارجيتها شكيب أفندي ليعيد تطبيق القانون ونظــام القائمقــاميتين مجدداً [٥٨].

المبحث الثالث : موقف روسيا من نظام شكيب أفندي وأحداث عام ١٨٦٠

انفجرت الأزمة مجدداً في جبل لبنان ، وتحولت إلى حرب أهلية انتشرت في أربــع عشــرة قرية على الأقل ، وتفاقمت أوآخر نيسان / أبريل ١٨٤٥م ، ويرجح بازيلي أسباب الحوادث التــي اندلعت في جبل لبنان بأنها كانت ذات بعد طبقي ، إذ يرى في محاولة احد مشايخ الدروز تجريــد فلاحي قريته من أسلحتهم سبباً في اندلاع الأزمة . وقد قدم بازيلي مع القناصل الأوربيــين رســالة احتجاج شديدة اللهجة إلى الوالي محمد وجيهي باشا يتهمونه بالتقصير في إخماد الفتنة [٥٩].

وفي الواقع إن تدخل القناصل في شؤون الجبل كان هو السبب المباشر في تفاقم الأحداث، ومما يؤكد هذا الرأي قيام الحكومة العثمانية بإرسال وزير الخارجية شكيب أفندي ، وهذا يعني أن المسألة قد اتخذت بعداً خارجياً وليس مجرد أزمة داخلية ، والأمر الآخر أن الحكومة العثمانية سلمت سفراء الدول الأوربية مذكرة حددت فيها أهداف مهمة المبعوث العثماني ، وكان من بين أهدافها : الحد من تدخل القناصل الأوربيين في الشؤون الداخلية لجبل لبنان [٦٠] تأكيداً على مسؤولية القناصل من الأحداث . وطلب شكيب أفندي من السفراء في استانبول أن يبرقوا إلى معتمديهم في بيروت الكف عن التدخل في شؤون جبل لبنان [٦١].

وصل شكيب أفندي بيروت في (١٤ أيلول / سبتمبر ١٨٤٥م) ، ووجه في اليوم التالي دعوة إلى القناصل الخمس (روسيا وبريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا) يعلمهم بمهمته ، وطلب إليهم الامتناع عن أي تدخل في شؤون الجبل ، وسحب رعاياهم من جميع أنحاء جبل لبنان بما في ذلك الإرساليات التنصيرية في مهلة أقصاها عشرة أيام ريثما يتم الانتهاء من وضع نظام جديد للجبل .

كان هذا الأمر يحمل في طياته اتهاماً مبطناً لهؤلاء القناصل بتحريض الأهالي على الفتنة وبالتالي فإن إبعادهم سوف يبعد التدخل الأجنبي . وقد نفّذت القنصليات ما طُلب منها، وكانت متفاجئة ، إذ إن القناصل لم يعتادوا مثل هذه المعاملة من قبل ، بل كانوا في السابق يتوجهون بالتعليمات إلى الوزراء والولاة بدل أن يتلقوا التعليمات منهم [٦٢].

استطاع شكيب أفندي ومن ورائه الحكومة العثمانية ترتيب الأوضاع في الجبل بإتباعه اللين حيناً والشدة أحياناً ، وأصدر في أواخر تشرين الأول / أكتوبر ١٨٤٥م مرسوماً حدد فيه بشكل دقيق ومفصل مستقبل الإدارة في الجبل وفق نظام القائممقاميتين ، فعرف النظام الإداري في جبل لبنان منذ ذلك الحين بنظام شكيب أفندي [٦٣].

يتبين من النظر في نظام شكيب أفندي أنه يصب في مصلحة روسيا طالما أنه يزيد من حدة الإنقسام والتشرذم ، وسيتسبب في إضعاف الدولة العثمانية ويزيد من انقسامها . وقد تنبه احد أعضاء مجلس النواب الفرنسي لهذا الأمر ، فألقى باللائمة على وزير خارجية بلاده منتقداً إياه بالقول :" كان أصحابكم يقولون بالأمس يجب أن نجعل في الشرق بلداً يشبه سويسرة ، وأنا أسألكم أن لا تجعلوه يشبه بولندة "[٦٤]. فبولندة مملكة مستقلة منذ القرن التاسع للميلاد ، وظلت كذلك حتى عام (١٧٦٣) عندما تدخلت روسيا في عهد القيصرة كاترين الثانية في شؤونه ، ومنذ ذلك الحين أخذت الدسائس تنخر في عظام الدولة البولندية ، وتثير فيها عواطف التعصب الديني الطائفي، حتى انقسمت على نفسها ، فأخذ الأرثوذكس فيها بالاستنجاد بروسيا ، واستعان الكاثوليك فيها بالنمسا، والبروتستانت ببروسيا ، وظلت حكومات تلك الدول تتجاذب الطوائف والأحزاب البولندية حتى

تقطعت أوصال البلاد وانفرط عقد وحدتها ، وأدى في النهاية إلى تقسيمها بين روسيا والنمسا وبروسيا (٦٥).

أيدت روسيا ترتيبات شكيب أفندي ونظامه في الجبل بقوة لأنها كانت ترمي إلى زيادة الانقسام في الجبل ، مما سيتيح لها دعم إنشاء قائممقامية ثالثة تضم الأرثوذكس ويكونوا تحت الحماية الروسية ، رغم معارضة الدولة العثمانية لهذه الفكرة ، إلا أن روسيا كانت تعول على زيادة الانقسام الطائفي في الجبل بعد هذه الترتيبات (٦٦). فقد أخذت القنصلية الروسية تدعم جهود المشايخ الإقطاعيين في استعادة امتيازاتهم ، التي ألغاها نظام شكيب أفندي وسحبها من أيديهم ، وتدفع باتجاه عرقلة سير تطبيق النظام الجديد ، الذي وضعه شكيب أفندي ، وإثبات عدم جدواه . فبدأ بعض المشايخ الإقطاعيين بوضع العراقيل أمام موفد الحكومة العثمانية عام (١٨٤٧) الذي وصل لأجراء مسح شامل للأراضي (٦٧). وهكذا بات من الواضح سعي السياسة الروسية خلق صعوبات جديدة بوجه الحكومة العثمانية ليزيد من أزمتها وضعفها في إدارة شؤون ولاياتها ومناطقها .

وصل الصراع بين الدول الأوربية الكبرى ذروته في أحداث عام (١٨٦٠) في جبل لبنان، وكان من نتيجة الأحداث هناك القضاء على نظام القائممقاميتين وترتيبات شكيب أفندي وفقاً لما ارتأت السياسة الروسية ، وفرض تسوية سياسية جديدة ألغت بموجبه الحكم المحلي ، وحاولت الموازنة بين مصالح الدولة العثمانية وبقية الدول الأوربية .

مثّل روسيا سفيرها في باريس كيسيلييف لحضور المؤتمر الذي عقد في باريس في (آب/ أغسطس عام ١٨٦٠) للنظر في إرسال حملة عسكرية أوربية لتوطيد الأمن في الجبل وكان من المقرر أن ترسل روسيا قوات بحرية إلى الشواطئ السورية لتوطيد الأمن ، وقد دخلت روسيا في صراع حاد ضد فرنسا أثناء الأعداد الدبلوماسي للحملة وأرادت استغلال الحملة لتحقيق أهدافها. وفي النهاية أيدت روسيا إرسال حملة عسكرية فرنسية إلى بلاد الشام تحت غطاء أوربي، وكانت تهدف من وراء ذلك ايجاد تقارب مع فرنسا على أمل قيام فرنسا بإعادة النظر في معاهدة باريس عام (١٨٥٦) التي أضرت بمكانة روسيا الأوربية ، وثانياً طرح مبادرة جديدة حول مسألة وضع السلافيين في البلقان (٦٨) . وقد تمت الموافقة النهائية على الحملة في (٥ أيلول / سبتمبر ١٨٦٠) واكتسبت بذلك الصفة الدولية (٦٩). وقد شاركت روسيا بخمس سفن حربية بحرية ، استمر وجودها في ميناء بيروت حتى خريف (١٨٦٠) (٧٠).

من جانبها أوفدت الدولة العثمانية وزير خارجيتها فؤاد باشا (١٨٥١-١٨٦٠) لتوطيد الأمن في بلاد الشام ، وهناك تم تشكيل لجنة دولية برئاسته وعضوية ممثلين عن الدول الأوربية الخمس ، ومثّل الجانب الروسي نوفيكوف (٧١).

كانت الاختلافات السياسية والمصالح كبيرة بين أعضاء اللجنة، فالدولة العثمانية وبريطانيا تطمحان إلى توحيد نظام الحكم في الجبل تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية ، وجعل وضعها

كبقية أوضاع الولايات الأخرى. أما فرنسا فكانت تريد إسناد إدارة الجبل لحاكم محلي من الأسرة الشهابية أو شخصية محلية أخرى . أما السياسة الروسية فكانت تنادي بضرورة تقسيم الإدارة في الجبل إلى ثلاث قائممقاميات: مارونية ودرزية وروم أرثوذكسية [٧٢] . وقد أتيحت الفرصة للمبعوث العثماني أن يزرع الشكوك في نفوس أعضاء اللجنة من المشروع الروسي والفرنسي ، وبالمقابل عارضت روسيا المشروع البريطاني والعثماني . وبعد مداولات مطولة [٧٣] تم الاتفاق أخيراً على مشروع نظام جديد للحكم في جبل لبنان ، أطلق عليه أسم نظام المتصرفية ، مزج بين مختلف المشاريع الأوربية، فجعل الإدارة موحدة ترضية للمشروع الفرنسي وجعل الحاكم عليها غير محلي منسجماً مع المشروع البريطاني وقسّم البلاد إلى سبع قائممقاميات يحكم كل قضاء حاكم محلي من أهل القائممقامية ترضية للمشروع الروسي . فكان هذا النظام من أكثر الأنظمة الإدارية العثمانية في جبل لبنان التي استطاعت أن توائم بين مختلف المصالح والتوجهات السياسية للدول الأوربية، وكان من نتيجته أنه استمر لمدة أطول من سابقه من الأنظمة حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) .

الخاتمة

تبين من خلال ما سبق أن لروسيا علاقات عدائية قديمة مع الدولة العثمانية تحكمت بها عوامل الموقع الجغرافي والعامل الديني والسياسي أكثر منه العامل الاقتصادي ، ونتيجة ذلك خاضت كلتا الدولتين صراعاً طويلاً من أجل إضعاف مقدرات إحداهما للأخرى . كما إن روسيا لم تألُ جهداً في سبيل إضعاف الدولة العثمانية وتقسيم أراضيها لما تمثله الدولة العثمانية من إمكانيات هائلة يمكنها الوقوف بوجه الأطماع الروسية في الشرق .

من جهة ثانية انتهزت روسيا فرصة ضعف الدولة العثمانية لتسارع في التدخل في شؤونها، والعمل على سلب ممتلكاتها والحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب دون مراعاة للوضع الدولي والأوربي الذي قد يتهدد التوازن الدولي بين الدول الأوربية من جراء توسع روسيا في أملاك الدولة العثمانية وتهديدها للأمن والسلم الأوربيين .

من جهة ثالثة حاولت روسيا التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية والعمل على مفاوضة بقية الدول الأوربية من أجل الحصول على مكاسب إضافية تتيح لها تقوية مركزها في الدولة العثمانية والأوربية . وقد تبين ذلك بوضوح في سياستها تجاه المسألة اللبنانية (١٨٤٠-١٨٦١) ، فقد سعت أن يكون لها موطئ قدم جديد في جبل لبنان وبلاد الشام تنافس به فرنسا وبريطانيا بهذا الشأن ، واستغلت الأقليات الدينية لتحقيق هذا الهدف ، حيث اتخذت من طائفة الروم الأرثوذكس قاعدة لتمارس من خلالهم سياستها التدخل في شؤون الدولة العثمانية في بلاد الشام إلى جانب سياستها في البلقان .

استفادت الدولة العثمانية من تناقضات مصالح الدول الأوربية الخمس وانقسامهم تجاه المسألة اللبنانية فعملت على توجيه الأمور بما يخدم سياستها المركزية الرامية إلى ضبط الأوضاع الداخلية في ولاياتها لكي تمنع التدخل الأجنبي في شؤونه الداخلية بكل ما أوتيت من قـوة ، وقـد نجحـت دبلوماسيتها في توظيف كافة المشاريع الأوربية لخدمة سياستها في جبل لبنـان ، ومزجـت بـين مختلف هذه المشاريع ووائمت بينها لتُصيغَ من خلاله مشروع نظام حكم جديد في جبل لبنان قدر له أن يستمر حتى الحرب العالمية الأولى .

الهوامش

(١) تتألف الدول الأوربية الكبرى من : بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا . للتفاصيل حول نشاط هذه الدول وتدخلاتهم ينظر :

M. S. Anderson , The Great Powers and Near East 1774 – 1923 (London , 1970) pp. 9 – 21 .

(٢) جورج لنشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، مكتبة المتنبي (بغـداد ،) ص ص ٢٦ – ٢٧ .

(٣) ب . م . دانتسيغ ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط ، ترجمة معروف خزنه دار ، منشورات وزارة الثقافـة والإعلام (بغداد ، ١٩٨١) ص ص١١– ١٨ –٢٢ .

(٤) مؤسس الدولة الروسية ، وأول من حمل لقب قيصر عرف بالقسوة والاستبداد ، وأنشأ جيشاً أرهب به خصومه . قتل ابنه في إحدى نوبات غضبه . يعده البعض من الشخصيات الوطنية الروسية . عبد الوهاب الكيالي ، موسـوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ٢٠٠٩) ، ج١، ص٤٤٤ ؛ وللمزيـد ينظـر : سـتيفن غراهام ، إيفان الرهيب ، أول القياصرة ، ترجمة يوسف شلب الشام ، منشورات وزارة الثقافة (دمشق ، ١٩٩٦).

(٥) إن روما الأولى هي التي يسكنها البابا في الفاتيكان ، وروما الثانية هي القسطنطينية ، ولكن بعد دخولها حـوزة الدولة العثمانية أضحت موسكو المقر الرئيس للمذهب الارثوذكسي .

(٦) فيليب برايس ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة جليل قطو ، وزارة المعارف (بغداد ، ١٩٦١) ص٢٩.

(٧) لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٧ .

(٨) بدأ حكم هذه الأسرة باعتلاء ميخائيل رومانوف عرش موسكو ، وقد ظل هدف قياصرتها الوصول إلى " البحار المفتوحة " بشكل عام ، وإلى " المياه الدافئة " بنوع خاص . بالأضافة إلى اسـتمرار توسـعهم جنوبـاً . الكيـالي، المصدر السابق ، ج١، ص ص٢٩٣ – ٢٩٥ .

(٩) ظهرت حركة دعم السلافية في روسيا بوصفها رد فعل على الدعوات التي نادى بها فريق من الساسة الـروس بضرورة تبني قيم وثقافة ومدنية الغرب ، وبالتالي جاءت الحركة السلافية لتحافظ على طابع روسيا الخاص، فقـد نادت بضرورة تعاون جميع شعوب الدول السلافية مع شعوب البلقان السلافية الخاضعة للحكم العثماني والنمسـاوي وتحريرها منهم وتقوية الروابط بين الشرق السلافي وغربه ، وكان يوري كريز هانيش من أبـرز الـداعين لهـذه

الفكرة ، فكان يرمي إلى توحيد جميع الشعوب السلافية تحت الحكم الروسي . للتفاصيل ينظر : برايس ، المصدر السابق ، ص ص ٤٥ – ٤٦ .

[١٠] برايس ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

[١١] المصدر نفسه ، ص٥٣ .

[١٢] قيصر روسيا ، أعتلى العرش بحركة انقلابية ، أهتم بمسألة تحديث بلاده والقوات المسلحة ، فاستقدم الخبراء والفنيين لتعليم الروس فنون الصناعات الحربية المختلفة ، وأنشأ قوة بحرية . يعد من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الروسي وبادئ نهضتها الصناعية وإدخالها ضمن الدول الأوربية الصناعية . الكيالي ، المصدر السابق، ج١، ص ص٥٤٦ – ٥٤٧ .

[١٣] دانتسغ ، المصدر السابق ، ص٦٧ .

[١٤] (١٦٤٥ – ١٧٢٩م) هو الجد الأكبر للكاتب الروسي المعروف ل . ن . تولستوي ، كان يتقن اللغة الايطالية كونه عمل سفيراً في ايطاليا بالاضافة إلى بولونيا والنمسا ، شغل منصب السفير في الدولة العثمانية حتى عام ١٧١٣م ، وخلال مدة أقامته هناك قدم تقاريراً مفصلة حول نظام الحكم العثماني والجيش والأسطول والوضع التجاري وتعامل الدولة العثمانية مع النصارى . للتفاصيل ينظر ، دانتسغ ، المصدر السابق ، ص ص٧٢-٧٣ .

[١٥] دانتسغ ، المصدر نفسه ، ص٧٢-٧٣ .

[١٦] المصدر نفسه ، ص٩٥ . تجدر الإشارة أنه في عام ١٧٢٤م أسست أكاديمية العلوم في بطرسبورغ ونشرت الأكاديمية جريدة كشوف سانت بطرسبورغ ، وقد تم تخصيص صفحات بارزة فيها لمعالجة شؤون بلدان الشرق، وكانت تنشر باستمرار مواد عن الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ، وكان ممثلوا الدبلوماسية الروسية في الخارج يعملون أحياناً كمراسلين لهذه الجريدة . ينظر ، المصدر نفسه ، ص٩٧ .

[١٧] بلا مؤلف ، مقالات في تأريخ الاتحاد السوفيتي في المرحلة الإقطاعية ، روسيا في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، اصلاحات بطرس الأول (موسكو ، ١٩٥٤) ص٤٣٢ . مقتبس عن ، دانتسغ ، المصدر السابق، ص ٦٩ .

[١٨] دانتسغ ، المصدر السابق ، ص٧١ .

[١٩] ولدت سنة ١٧٢٩م وتزوجت الإمبراطور بطرس الثالث وعزلته سنة ١٧٦٢م، انتهجت سياسة توسعية نحو الغرب وتوفيت سنة ١٧٩٦م. روبرت بالمر: تاريخ العالم الحديث، أوربا ١٧٤٠–١٨١٥م، ترجمة حسن علي ذنون (بغداد، ١٩٦٤) ج٢، ص ص١٥٠-١٥١؛

Dukes Paul: Catherine the great and the Russian nobility (Cambridge , ١٩٦٧) p. ٧٣

[٢٠] برايس ، المصدر السابق ، ص ص٦١-٧٣ .

[٢١] حصلت روسيا بموجب هذه المعاهدة على موطئ قدم مباشرة في البحر الأسود ، وسمح لروسيا بتأسيس قنصليات لها في الدولة العثمانية وحرية التجارة في أراضي الدولة العثمانية ، وتأسيس كنيسة أرثوذكسية في استانبول يديرها رجال دين روس ، وأصبح لها الحق بحماية النصارى في أقليمي الأفلاق والبُغدان (مولدافيا وولاشيا) . للتفاصيل : لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص٢٩ -١٤٠ .

[٢٢] لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص٢٨ – ٢٩ .

[٢٣] فيليب حتي ، تأريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢) ج٢، ص٣٤٧ .

(٢٤) لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ص٣٠ ؛ دانتسغ ، المصدر السابق ، ص١٤٢ .

(٢٥) دانتسغ ، المصدر السابق ، ص١٤٧ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ص ١١٩ – ١٤٦ .

(٢٧) بموجب هذه المعاهدة اعترف القيصر رسمياً بانتصارات نابليون في أوربا ، وربط نفسه بمواد سرية في المعاهدة ، إذ سينضم القيصر إلى الحصار القاري إلى جانب فرنسا في حالة عدم قبول بريطانيا الوساطة الروسية بينها وبين فرنسا ، وان تجبر روسيا كل من الدانمارك والسويد والبرتغال والنمسا على إعلان الحرب على التجارة البريطانية . مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، ج٣ ، دار أسامة ، (عمان ، ٢٠٠٩) ص ٦٨٦ .

(٢٨) لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٢ .

(٢٩) كارلتون هيز ، التأريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩ ١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسين ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٧)، ص٨٨ .

(٣٠) تألفت ولايات الدانوب من ولاية وادين Vidin ونيس Nis ووارنه Varna وقد تم توحيد هذه الولايات لتشكل ولاية الطونة Tuno أو الدانوب في عام ١٨٦٤ وجعل روسجك مركزها . وأقاليم هذه الولاية تم اقتطاع أغلب أراضيها من ولاية الروميلي التي تأسست عام ١٣٦٣م . شملت ولاية الطونة ألوية دوبرجة ونيش إذ تقع أغلب هذه المناطق في رومانيا . للتفاصيل ينظر : يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل (استانبول ، ١٩٩٠) ج٢ ، ص٦٥٣ – ٦٥٤ .

(٣١) لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٥ .

(٣٢) وعدت الدولة العثمانية روسيا بسد مضائقها (البسفور والدردنيل) بوجه أي دولة تصبح في حالة حرب مع روسيا ، وأصبح لروسيا مطلق الحرية في الملاحة عبر هذه المضائق في حالة الحرب والسلم . وقد وصف بريطانيا خطورة هذه المعاهدة على مصالحها في الدولة العثمانية بأنها (مصيبة قومية) . قسطنطين بازيلي، سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ترجمة طارق معصراني ، دار التقدم (موسكو ، ١٩٨٩) ، ص٣٩٣ .

(٣٣) لنشوفسكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٧ .

(٣٤) للتفاصيل ينظر : جيليبر سينويه ، الفرعون الأخير ، محمد علي بين ١٧٧٠–١٨٤٩ ، ترجمة حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة (دمشق ، ٢٠٠٥) ص ص ٤١١–٤٤٥ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٣٧ – ٣٨ .

(٣٦) دانتسغ ، المصدر السابق ، ص ص٢١١–٢١٣ .

(٣٧) مارينا بانتيشينكوفا ، سياسة فرنسا في الشرق الأدنى والبعثة السورية ، تاريخ سورية ولبنان في عام واحد ١٨٦٠–١٨٦١ ، ترجمة زياد الملا ، دار أطلس (دمشق ، ٢٠٠٦) ص ص٦٨–٦٩ .

(٣٨) Adel Ismail , Histoire du Liban , Tom IV , (Beyrouth , ١٩٥٨) , p ١٤٦ .

(٣٩) عادل إسماعيل وأميل خوري ، السياسة الدولية في الشرق العربي، من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٩٥٨، ج٣ دار السياسة للنشر(بيروت، ١٩٥٩) ، ص ص٢٢٨–٢٢٩ .

(٤٠) ولد عام١٧٧٢م، دخل السلك الدبلوماسي عام١٨٠١م، أصبح وزيراً للخارجية عام ١٨٠٩م، ومستشاراً عام ١٨٢١م، حتى أبعدته ثورة ١٨٤٨م عن بلاه إلى لندن، ثم عاد إلى بلاده معتزلاً السياسة، عدّه اللبراليون الأوربيون

(رجعياً خيّراً)، إلا أنه كان يتطلع إلى المحافظة على التوازن الأوربي ، والحفاظ على الحكومة والسلطة الارستقراطية في أوربا، توفي عام ١٨٥٩م. ينظر؛ بالمر : المصدر السابق، ج ٢، ص ص٩٨-٩٩.

(٤١) إسماعيل وخوري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٢٩ .

(٤٢) محمد أحمد ترحيني ، الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي، دراسة مقارنة، دار الأفاق الجديدة (بيروت، ١٩٨١) ، ص١٣ .

(٤٣) ترحيني ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص٢٨ .

(٤٥) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠- الى سنة ١٩١٠، تعريب فيليب وفريد الخازن، ج١ ، دار الرائد، (بيروت،١٩٨٣) ، ص٨٢ .

(٤٦) ترحيني ، المصدر السابق ، ص٤١ .

(٤٧) العقيقي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص٤٥ .

(٤٩) إسماعيل وخوري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٥ .

(٥٠) مقتبس عن ترحيني ، المصدر السابق ، ص ص٥٠ -٥١ ؛

Beyrouth . T . III Bouteneff à Bazili canstantinoble , ١٩ , Décembre ١٩٤٢ . Cité par Mounir Ismail op.cit. p. ٣٧ .

(٥١) ترحيني ، المصدر السابق ، ص ص٥٥ -٥٦ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

Adel Ismail, op.cite , T.IV , p. ٢٤٠

(٥٣) سميليانسكايا ، الحركات الفلاحية ، ص٥٢ .

(٥٤) إسماعيل وخوري ، السياسة الدولية ، ج٣ ، ص٤٤ ؛ بانتيشنكوفا ، سياسة فرنسا ، ص ص٥٢ -٦١ .

(٥٥) إسماعيل وخوري ، السياسة الدولية ، ج٣ ، ص٤٤ .

(٥٦) كانت الكنيسة الأرثوذكسية تعاني من ضعف الدعم المالي بعكس الكنيسة المارونية أو الأنجيلية ، كما أن معظم اتباعها كانوا من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار ولم تكن تقريباً ارستقراطية زراعية في اوساطهم ، مما سهل على بقية الإرساليات الدخول ونشر مذهبهم في صفوف الأرثوذكس . تجدر الإشارة إلى أن الأرثوذكس يأتون بالمرتبة الثانية في عدد النفوس في جبل لبنان فقدر عددهم القنصل الروسي ج. بيكر بحوالي (٢٨) ألف مقابل (٢٤،٥) ألف درزي و(١١٥) ألف ماروني و(١٧،٤) من الروم الكاثوليك . ينظر : قسطنطين بتكوفيتش: لبنان واللبنانيون، ترجمة يوسف عطا الله، دار المدى (بيروت، ١٩٨٦) ، ص ص١٢٤ -١٣٠-١٣١ .

(٥٧) إسماعيل وخوري ، السياسة الدولية ، ج٣ ، ص ص٤٤ – ٤٥ .

(٥٨) إسماعيل وخوري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٦ ؛ مجموعة المحررات السياسية ، ج٢ ، ص١٧٧؛ العقيقي، أنطوان ضاهر : ثورة وفتنة في لبنان، نشرها يوسف إبراهيم يزبك (بيروت، ١٩٣٩) ، ص٤٦ .

(٥٩) أ . سميليانسكايا : الحركات الفلاحية في لبنان، النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعريب عدنان جاموس، دار الفارابي(بيروت، ١٩٧٢) ، ص١٧٠ ؛ ترحيني ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٦٠) مجموعة المحررات السياسية ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ص٢٠٥ – ٢١٠ .

[٦١] إسماعيل وخوري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٥٤ .

[٦٢] ترحيني ، المصدر السابق ، ص ص٩٠-٩٢ .

[٦٣] العقيقي ، المصدر السابق ، ص ص٤٨-٥٠ ؛ مجموعة المحررات السياسية ، المصـــدر الســـابق ، ج١ ، ص ص٢١٨-٢٢٧ . أعلن في (أيار / مايس ١٨٤٦) النظام الجديد وبموجبه تم تقسيم الجبل إلى إدارتين يتبعون والي صيدا ، وعين مجلساً مختلطاً من الطوائف في كل قائممقامية لمساعدة القائممقام الذي بدوره أصبح مجـــرد موظفـــاً يتلقى راتباً شهرياً من الدولة .

Beyrouth, T.IV, Bourée à Guizot . Cité par Mounir Ismail , op.cit, p. ٦٨ .

[٦٤] ينظر نص الخطاب في : مجموعة المحررات السياسية ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص٢٤٢ -٢٦٢ .

[٦٥] ترحيني ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[٦٦] Adel Ismail , op.cit , p. ٦٨ .

[٦٧] ترحيني ، المصدر السابق ، ص ص١١٨-١١٩ .

[٦٨] بانتيشينكوفا ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

[٦٩] أسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، دار النهـــار (بيـــروت ، ١٩٧٣) ص٢٢ ؛ مجموعـــة المحـــررات السياسية، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ ترحيني ، المصدر السابق ، ص ص١٦٤ -١٦٨ .

[٧٠] بانتيشينكوفا ، المصدر السابق ، ص١٩١ ، ص٢١٠ ؛ مقتبس عن : أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي ، الصندوق (٢٨٣) ، ٣ ، الديسك / ٥١٩١ / الورقتان / ٧٧ /و / ٧٩ / .

[٧١] لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ – ١٩١٨ ، منشورات الجامعة اللبنانية (بيـــروت ، ١٩٦٧)، ص ص٩-١٠ .

[٧٢] ترحيني ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

[٧٣] حول تفاصيل ما دار من حوارات ينظر : حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق ، لجنة بيروت الدولية، المحاضـــر الكاملة ١٨٦٠-١٨٦٢ ، تحقيق وترجمة الأب أنطوان ضو ، ج١ ، (بيروت ، ١٩٩٦) ، ص٥٣٩ .